الباب الأول :

السداسي الثاني :

المقياس : اللسانيات المعرفية(العرفنية).

الفئة المستهدفة : طلبة السنة الأولى ماستر لسانيات عامة .

الأستاذ : د ، صالح غيلوس .

عنوان الدرس: سلبيات النظرية التوليدية التحويلية و إرهاصات النظرية العرفنية

يرى بعض الدارسين أن عدم الاطلاع على النظرية التوليدية التحويلية وأسسها ومباحثها وإنجازاتها، وأن ما ينجز من أبحاث وإن اتسمت بالجدة تعتبر غير ذات شأن، نظرا لتجاهلها أهم نظرية في الحقل اللساني على الإطلاق، وقيمة الدراسات اللسانية بعد تشومسكي تتحدد بمدى صلتها بهذه النظرية. وعلى ما يبدو أن هذا الرأي فيه من التعصب لهذه النظرية الشيء الكثير، لكننا نجد من يدحض ما ذهبوا إليه، إن ما جاء على لسان التوليدين أنفسهم ينفي هذه الحقيقة، فلو تفحصنا مقدمة كتاب جون ليونز John Lions الموسوم بنظرية تشومسكي اللغوية لوجدناه يقول عنها: " إن كلام اللسانيين الغربيين، الذين يصفون أعمالهم بالبحث العلمي وتغرق في المقدمات الغليظة، والتي يصبغون بها أقاويلهم، فإذا جئت إلى المقصود، لم تجد بيانات نحوية قالها الناس؛ بل أنّ الأدهى من ذلك أن يزعم قوم أنهّم يبشرون بالبحث العلمي في مجال اللسانيات. فتظن أنّهم نقلوا هذا الاسم عن أصحاب المذهب، فلما رأوا أصحاب المذهب يقولون عن مذهبهم، أنَّه علم اللغة و أنَّه علم اللسان، سكن روعهم ما صدقوه غيا، فصرت لا تستطيع أن تنزع من نفوسهم هذه الكذبة.[1]

[1] – ينظر، جون ليونز : نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة وتعليق حلمي، خليل، مقدمة المترجم ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995.

بيد أن الموضوع الأساسي للسانيات كما يراه تشومسكي في نظريته، هو المعرفة التي يمتلكها المتحدث/ المستمع السليقي(المثالي)، والقدرة على إنتاج الجمل وفهمها و على تطبيق هذه المعرفة بواسطة الكفاءة اللغوية.

لقد انتهج تشومسكي نهج العقلانيين، لذلك تلونت أفكاره بألوان مجالات علمية متعددة كالفلسفة وعلم النفس، وعلم الأحياء، والبيولوجيا والرياضيات...، إذ وضع في منا ويله نظاما محددا من القواعد لتحليل البنى اللغوية، كما ربط المعرفة اللسانية بالتكوينات البيولوجية والأحياء.

وهذا ما دفعه إلى تفسر تأثير العامل الوراثيFacteur génétique على قدرة الإنسان اللغوية ، وأن ما يتمتع به قدرات عقلية، فهي تسمح له إدراك الكلام وتكوينه؛ لأن العقل يمتلك نظاما من القواعد توجه الفعل اللساني الملفوظ.[2]

ومن خلال دراساته المتواترة استغنى تشومسكي عن السياق الخارجي، وجعل جل اهتمامه بجملة العمليات العقلية التي تسبق إنتاج اللغة، وهذا الذي جلب له الانتقادات اللاذعة من أتباعه وحتى خارج مدرسته، فالصرامة الحادة والتعصب للمسار المعياري الدغمائي، الذي يتجلى أثناء استثمار قواعد التحويل في : (الحذف، الزيادة، التقديم، التأخير...).[3] إذ يتبنى مفهوما عقلانيا للمعرفة العلمية ويدافع عنها بشراسة. وأن اعتنائه بالنحو بدل اللغة؛ أي بالآلة الصورية التي تمكن من توليد عدد لا محدود من المتواليات التي تنتمي إلى لغة بشرية معينة، لأن وصف اللغات البشرية يقتضي بناء آلات ونماذج صورية تحاكي خصائص اللغات البشرية. فالنحو إذن ليس نشاطا تصنيفيا تطبق فيه إجراءات التقطيع والاستبدال على العينات اللغوية،بل هو منهج استنباطي صوري يفسر القضايا اللغوية ويحلل العلاقات القائمة بينها.

---

[2] نعوم تشو مسكي : اللغة والمسؤولية، تر، حسام البهنساوي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة – مصر، ط2- 2005 ص 70 -

3- ينظر، يحي عبابنة، آمنة الزغبي: علم اللغة المعاصر مقدمات وتطبيقات ، دار الكتاب الثقافي، إربد، الأردن ، 2005،، ص123

1- التحويل Conversion : يرى تشو مسكي وأتباعه أن النحو نظام قائم في عقل متكلم اللغة حيث يقوم بعملية التحويل ضمنيا وبموجبها يتم الانتقال من البنية العميقة إلى البنية السطحية ، وتخضع هذه العملية إلى قانون الترتيب، ومهمة القواعد التحويلية الربط بين هذين المستويين.[4] وقد وضع تشومسكي أربعة أنماط للقوانين التحويلية وهي:

- قوانين تجريدية ذات صبغة شمولية Phrase structure Rules
- قوانين تصف اللغة مبنى ومعنىLexical Rules
- قوانين تحويل التراكيب من الداخل إلى الخارجTransformational Rules
- قوانين صوتية Phonological Rules

واجهت هذه المقاربة صعوبات جمة برزت أثناء ممارسة للدارس اللساني لعملية الوصف، حيث تكشفت، و تتمثل هذه العوائق حين تطبيق المستويات الأربع للقواعد التحويلية، فلو أراد " المتكلم صياغة جملة، فعليه أن يبدأ في تطبيق القوانين الأساسية، والقوانين المفراداتية، عندها يطبق القواعد التحويلية، وفي آخر المطاف يصل إلى تطبيق القواعد الصوتية- وهذا طبعا - يستغرق وقتا طويلا إذا طبقناه مع كل جملة، وقد لا تتكون لديه جملة إطلاقا وإذا ألزمناه بتطبيق هذه المستويات ، صارت القواعد التحويلية معيارية؛[5] لأن العملية برمتها قائمة على الحدس و التخمين، وليس على قواعد ثابتة ومستقرة، وفي هذا السياق ظهرت أصوات تنادي بتخليص اللغة من شوائب الاستعمال من أجل ضمان الدقة، وإلقاء القبض على الظواهر اللغوية الثابتة وتنزيلها في قوالب شكلية مضبوطة، حتى تتسم الدراسة اللغوية بالصرامة العلمية .[6]

4- ينظر، عبد الرحمان ممدوح: من أصول التحويل في نحو العربية، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 181/180

5- محمد الخولي: قواعد تحويلية للغة العربي'، دار الفلاح، بيروت ، لبنان 1999، ص 47

6 - منانة حمزة الصفاقسي : الدلالة العرفنية الإدراكية وتراجع دور التركيب (الإعراب في إنتاج الكلام وتأويله، مجلة اللسانيات العربية، مركز عبد الله بن عبد العزيز ، السعودية، سبتمبر2010، ص 92/91

2- الكفاءة اللغوية: تسمح بإنتاج الجمل السليمة وفهمها حتى ولم يسبق سماعها مطلقا، وينعتها تشو مسكي بـ: (المعرفة الضمنية للغة)، فهي خاصة بالمتكلم الذي يعرف قواعد لغته.[7] تمكنه من الجمع بين أصوات اللغة ودلالاتها في تكامل و بينة القواعد، وقد ركز تشو مسكي على الكفاءة، تسبق الأداء وجودا ، و مسؤولة عن توليده أيضا، ويعني الداء الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين، ويعتبره تشو مسكي انعكاس للكفاية اللغوية، وبه تنتقل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل.

بيد أن معيار الكفاية اللغوية تظهر به بعض الانحرافات عن قوانين اللغة، وتكتشف أثناء الممارسة الفعلية للكلام، لكن تشو مسكي في ذلك أنَّه من المُستحيل الإتيان بقواعد تُطابق أو تُماثل كفاية المُتحدِّث الأصلي للغة، في علاقات المعنى، بالنَّظر فقط إلى البنية السطحية للجمل ؛أي الترتيب الذي تظهر به الكلمات في الجملة.[8]

في حين نجد رفض بعض اللسانيين لطرح الكفاءة اللغوية، وعابوا عليه قصر النظر هذا، وجاءت انتقاداتهم كالتالي:

- تقابل الكفاءة الأداء بين ما يعرف المتكلم وما يؤديه في الوقت الذي لا حاجة فيه لاستظهار ما يعرفه المتكلم؛ ويعني هذا أنه لا مكان لهذه الثنائية من منظور ما ينبغي أن يكوّن علاقة بالنظام اللغوي وسائر الأنظمة الأخرى، غير اللغوية (اجتماعية ، نفسية، ثقافية...).

- الفصل بين الكفاءة والأداء مجرد عذر لساني .

- الفصل بين الكفاءة والأداء كونه مرتبطا ارتباطا لا ينفك بنموذج لغوي عاجز، أن يدخل في أي نظرية تتناول جانب الفعل action .

7- عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديث، دار صفاء للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ص 266

8- زكريا، ميشال، العقل واللغة في النظرية الألسنية التوليدية التحويلية، ص157

– لم يراع وصف الكفاءة اللغوية و التفاعل بينها وبين الكفاءة النحوية التداولية، وظل أحدهما منفصلا عن الآخر إضافة إلى الوظيفة الاتصالية مع إهماله للسياق نهائيا.[9]

إن الاهتمام بوصف الكفاءة اللغوية والنظام الذهني، أضفى على اللغة الطابع الماورائي، لذا ينبغي لمفهوم الكفاءة، أن يحظى بنظرة أكثر اتساما بالتكاملية، مما يجري في قواعد الجملة.[10] وبهذا التفكير اللاهوتي جعل الإنسان أسير طبيعته، وهنا يختزل تشو مسكي التوليد و الإبداع في اللغة إلى مجرد إجراء حسابي كامن تلا فيف الدماغ وثنايا الجملة العصبية.

3– الحدس : هو قدرة المتكلم على معرفة الجملة الصحيحة في اللغة و يميزها عن الجمل الخاطئة عن قواعد اللغة، فهو عملية عقلية تركيبية، وليست تحليلية.[11] ومنه فأن الحدس شيءٌ غير علمي ، ولا تخضع للملاحظة المباشرة ، بالإضافة إلى أنها متغيرة وغير جديرة بالثقة.[12]

---

[9]– محمد العيد : النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، عين شمس، القاهرة، 2005، 29 /30

[10]– روبرت دي بوغرند : النص والخطاب والإجراء، تر تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1 1998م ص95

11 - محمد نجيب الصبوة : التفكير وحل المشكلات، مكتبة غريب، القاهرة، 1990، ص 394

12 –ينظر، صبري إبراهيم السيد : تشومسكي فكره اللغوي وآراء النقاد فيه ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية، 1989، ص265